ماذا يريد الوزير بلمختار؟

وأخيرا عرفنا السبب الذي يجعل أبناءنا لا يدرسون: لأنهم يكرهون المدرسة. فالهدر المدرسي لا يعود إلى البنية المهترئة ولا إلى الأستاذ المقهور ولا إلى البرامج المتخلفة بل إلى التلاميذ الذين يرفضون الدراسة. هذه كانت آخر وصفات السيد بلمختار.

صورة "جميلة" تلك التي نشرتها وسائل الإعلام للسيد بلمختار وهو يعانق زميله نور الدين عيوش ويبادله ملفات التوقيع على مشروع آخر من مشاريع تسليم التعليم المغربي، بعد أن فشل مشروع التلهيج. وجمال الصورة أنها توضح لمن أراد الإجابة عن سؤال: ما الذي أتى بالوزير القديم الجديد إلى الحكومة؟ وما برنامجه الحقيقي بعيدا عن الشعارات والكلام الذي يلوكه في البرلمان؟، لكن الأجمل من هذه الصورة صورة مدرسة ايت امحمد "بتزي نغشو" التابعة لنيابة ميدلت التي نشرتها مجموعة من الفعاليات الحقوقية والتي تبين المفارقة بين الواقع الحقيقي للمدرسة العمومية وبيع الأوهام باسم الرقمنة والتقنيات الحديثة.

كان الأولى بالسيد رئيس الحكومة الأستاذ عبد الإلاه بنكيران أن يوجه نقده في ندوة «التعليم

العمومي: المواطنة والتنمية والإصلاح»، التي نظمتها اللجنة المواطنة من أجل إصلاح شامل وناجع لمنظومة التربية والتكوين، ليس إلى نور الدين عيوش الذي تجاوزته أحداث النقاش اللغوي، بل إلى وزيره في التربية الوطنية الذي فتح أبواب وزارته على مصراعيها أمام صديقه يرتاع من خيراتها ويستفيد من ثمارها. وكان الأولى أن يخبرنا عما يفعله هذا الرجل في حكومة خرجت من رحم صناديق الاقتراع يهدد مسارها ويضرب بمشاريعها التربوية عرض الحائط تنفيذا لأجندته الفرنكفونية مختبئا تارة وراء التعيين الملكي وأخرى بنسبة مشاريعه إلى من سبقه أو إلى رئيس حكومته. فهل هو وزير في حكومة مسؤولة أم وزير خارج الحكومة؟

وأنا أتابع تحركات السيد رشيد بلمختار تراءى امامي قول اللورد ماكولي وهو يتحدث عن خطة إخضاع الهنود للاستعمار الانجليزي بكسر عمودها الفقري المتمثل في تراثها الروحي والثقافي، فاقترح أن يأتي نظام تعليمي جديد ليحل محل النظام القديم، لأنه لو بدأ الهنود يعتقدون أن كل ما هو أجنبي وإنجليزي جيد وأحسن مما هو محلي، فإنهم سيفقدون احترامهم لأنفسهم وثقافتهم المحلية، وسيصبحون ما نريدهم أن يكونوا، أمة تم الهيمنة عليها تماما. فما يفعله السيد بلمختار هو استنساخ لرؤية ماكولي في المغرب. فمنذ حضوره المثير لندوة مؤسسة صديقه عيوش والتي قدمت فيها مذكرة التلهيج المشؤومة، ودخوله لوزارة التربية من الأبواب الخلفية، وإعادته عقارب المدرسة المغربية إلى الوراء من خلال البرنامج الاستعجالي والمشرفين عليه بالرغم من الاختلالات الكبيرة التي عرفها، ومسارات تنزيل مشروع تحطيم التعليم المغربي واستنساخ النموذج الفرنسي المترهل وعرض مقدرات الوطن للبيع تتنزل خطوة خطوة بشكل مستمر وفي كل مرة يفاجئنا بعنوان فرعي. فبعد القلق الأكاديمي والمجتمعي والبرلماني الذي اثارته الباكالوريا المسماة زورا "دولية"، وحاول آنئذ إلصاق التهم بغيره حول المشروع ولو كان رئيس الحكومة، وكال الحجج المبررة لتسليمه التعليم المغربي، حين ربط نفسه بالتعيين الملكي، على شاكلة صديقه الذي يكرر أينما حل وارتحل صداقته للملك، استند السيد الوزير في حججه على الميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي ينص على ضرورة تدعيم اللغات الأجنبية ووجوب التدريس باللغة التي يتم تدريسها في التعليم العالي في الثانويات، ونافح عن رايه بضرورة تمكين أبناء الشعب من اكتساب اللغة الفرنسية على اختلاف طبقاتهم والانفتاح على إفريقيا الفرنكوفونية. وإذا كانت هذه الحجج لم يهتم بها إعلاميا ولا أكاديميا لكونها مجرد تبرير متأخر للمشروع الفرنكفوني الذي أصر السيد الوزير على تطبيقه حتى في المشاورات التي أعلنها استنساخا منه لتجربة السيد الفرنسي، فمن المؤكد أن الهوى الفرنسي القديم/الجديد لخريج المدرسة الوطنية العليا للمهندسين الجويين بباريس قد آن أوان تنزيله. ففي حكومة التناوب اتفق مع نظيره الفرنسي آنذاك «فرانسوا بايرو» على إدخال المسالك المزدوجة الفرنسية، والآن ينتقل إلى إعلان حالة الفوضى المعلنة في الباكالوريا تارة فرنسية وأخرى إسبانية وربما سيأتي يوم تغدو لدينا باكالوريا هندية وأخرى كونغولية... المهم هو أن تشتت الأذهان

والعقول من أجل سيد الإليزيه. وبعد ان طرد صديقه عيوش من محو الأمية أيام سلفه، وبعد أن رفضت مذكرته، أبى إلا ان يفتح له الباب على مصراعيه ليسوق لتلاميذ المغرب الأوهام باسم الرقمنة والحداثة.

الآن اتضح مسار الرجل الذي أقحم على التعليم المغربي لإيقاف كل حلم بإصلاحه واجترار الأزمة المصطنعة وفتح عقول المغاربة أمام أصدقائه ومحيطه الخاص، وفي الأخير أمام مشروع فرنكفوني تعذر تنزيله منذ عقود بفضل نفس الممانعة للشعب المغربي. ولعل أجواء التعبئة التي تعيشها الوزارة هذه الأيام بعد ما عاش المجلس الأعلى للتعليم نفس الأجواء الاستشارية سابقا وبنفس الشاكلة ومع نفس الأطراف، حيث استبعدت الفعاليات المجتمعية والسياسية، تبرز أن الغرض ليس إصلاحيا بل هو بحث عن شرعية وتبرير للسياسة المقررة سلفا في دواليب من أتى بالسيد بلمختار وأصدقائه.